لقد مضى حتى الآن ثلاثة وثلاثون عاماً على تأسيس دولة اسرائيل، وهي فترة من الزمان لا يستهان بها. ففي هذه الفترة، تمكنت الحركة الصهيونية من تأسيس دولة قوية ذات صبغة عسكرية عكست نفسها على كل شيء في هذه الدولة بما في ذلك الانسان. وتمكنت الآلة العسكرية الصهيونية، خلال هذه الفترة، من خوض عدة حروب عدوانية تحت شعار الهجوم الوقائي لدرء الخطر المجاور الذي يهدد كيانها. لكن ماذا قدمت هذه الدولة لمواطنيها، خلال الفترة المذكورة، غير الحروب والازمات الاقتصادية وانتشار البطالة والجرائم والاحساس بفقدان الانتماء أمام استحالة انصهار ما يقارب السبعين قومية في بوتقة الجنسية الاسرائيلية، وكذلك استحالة ربط هذا المواطن بالأرض الفلسطينية وصعوبة اقناعه بالدفاع عنها.

يطرح مجمل ما تقدم عدة تساؤلات حول واقع دولة اليهود ومصيرها بجوهرها الصهيوني:

ـ الى أي مدى نجح المشروع الصهيوني في أن يكون مجتمعاً طبيعياً؟

ـ هل توافرت لهذا المجتمع «الاستثنائي»، من الناحيتين التاريخية والواقعية، أية مقومات لنشوء الأمة وتشكّل الدولة القومية؟

ـ هل يمكن الحديث عن سوق قومي اسرائيلي وعن برجوازية وطنية اسرائيلية؟.. واين هي الحدود الجغرافية والبشرية لهذه الدولة القومية؟

فاسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي لاتوجد لها حدود رسمية معروفة. (أجاب أحد المسؤولين الاسرائيليين على سؤال حول حدود الدولة بقوله: «حدودنا حيث يقف جيشنا»)، وهي أيضاً الدولة الوحيدة التي تشترط لبقائها احتياطياً بشرياً من أكثر من سبعين دولة في العالم. كما انها تكاد تكون الدولة الوحيدة أيضاً في كون أكثر من نصف سكانها يحملون، إضافة لجوازات سفرهم الاسرائيلية، جوازات بلدانهم الأصلية، تبعاً للبلدان التي قدموا منها. وهذا ما يطرح حقيقة ازدواجية الولاء والانتماء، بما تحمله هذه الازدواجية من تناقضات عاطفية واجتماعية وسياسية، سواء على صعيد بناء الانسان الفرد أم على صعيد مجمل بنيان الدولة.

يقول محمد حسنين هيكل، في حوار أجرته معه مجلة «المستقبل العربي»[٥٠]، ان اسرائيل قد اكتشفت أزمة وجودها الحقيقية بعد عدوانها في حزيران (يونيو) من العام ١٩٦٧. اذ حققت العسكرية الاسرائيلية آنذاك أقصى انتصار يمكن تحقيقه. لكن ليس بالعسكرية وحدها تقوم الدول. ومن الواضح انه نصر عقيم. وقد تنبأ اسحق دويتشر بعقم هذا النصر مباشرة بعد حرب حزيران (يونيو)، عندما أشار الى انه نصر اسوأ من هزيمة و «سينظر اليه ذات يوم، ليس في المستقبل البعيد، على أنه كارثة في المحل الأول على اسرائيل نفسها»[٥١].

اذن «اسرائيل لا تستطيع أن تحتمل السلام ولا تستطيع أن تحتمل حرباً الى الأبد»[٥٢]. الحرب والسلام كلاهما مدمر لاسرائيل، فالحرب تعني العزلة عن البيئة. والسلام يعني الاندماج وحتمية الذوبان. وأي سلام يأتي من اسرائيل والامبريالية ودوائرهما لن يحمل غير الاستسلام والتركيع لشعوب نشأت تاريخياً في هذه المنطقة. والسلام الحقيقي الوحيد الممكن هو السلام بشروط البيئة. وهكذا فان اشكالية الحل الصهيوني وأزمته المسيطرة يطرحان على بساط البحث واقعية الحل الفلسطيني الذي